المنهج السيميولوجي

د. ميداني بن ع

وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ
alqiyady.com

السيمياء عند العرب

- اقترن مصطلح السيمياء في حركة التأليف المبكرة عند العرب بعدد من العلماء . منهم جابر بن حيان العالم الكيميائي ذو الخيال العلمي الطامح إلى فكرة تحويل المعادن الخسيسة لمعادن ثمينة . ولما لم يستطع تحقيق بعض ذلك، تحول علم الكيمياء عنده إلي ما عرف بعلم (السيمياء) . وقد كان مفهوم هذا العلم في ذلك الوقت قريباً من السحر . وربما سموه (الخيمياء) لقرب الكلمتين لفظاً ومعنى.

ويقسم الجاحظ جميع أصناف الدلالات على المعاني من : لفظ ، وغير لفظ ، خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد :

- أولها اللفظ .
- ثم الإشارة : فأما الإشارة فباليد وبالرأس وبالعين والحاجب والمنكب إذا تباعد الشخصان
- ثم العقد : وهو : الحساب دون اللفظ والخط.
- ثم الخط .
- ثم الحال التي تسمى (نصبة) ، والنصبة هي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف ولا تقتصر عن تلك الدلالات .

أبو حامد الغزالي : إن للأشياء وجودا في الأعيان ووجودا في الأذهان ووجودا في اللسان... فإن السماء مثلا لها وجود في عينها و في نفسها ثم لها وجود في أذهاننا ونفوسنا ، لأن صورة السماء حاضرة في أبصارنا ثم في خيالنا ... أما الوجود في اللسان فهو اللفظ المركب من أصوات ... فالقول دليل على ما في الذهن، وما في الذهن صورة لما في الوجود من مطابقة له ، ولو لم يكن وجود في الأعيان لم ينطبع صورةً في الأذهان، ولو لم ينطبع صورة في الأذهان لم يشعر بها إنسان .

فردينان دو سوسير (1857-1913م)

- اللغة نظام علامات، يعبر عن أفكار. ولذا يمكن مقارنتها بالكتابة، بأبجدية الصُّم - البكم... بلاإشارات العسكرية، وبالطقوس الرمزية ...إلخ . على أن اللغة هي أهم هذه النُّظم على الإطلاق وصار بإمكاننا أن نرتئي علماً يُعنى بدراسة حياة العلامات داخل المجتمع... وسندعوه سيميولوجيا sémiologie ... ولهذا العلم الحق بالوجود... على أن اللسانيات ليست إلا جزءا من هذا العلم، فالقوانين التي تستخلصها السيميولوجيا ستكون قابلة للتطبيق في مجال اللسانيات.

شارل سندرز بيرس الأمريكي (1839-1914م)

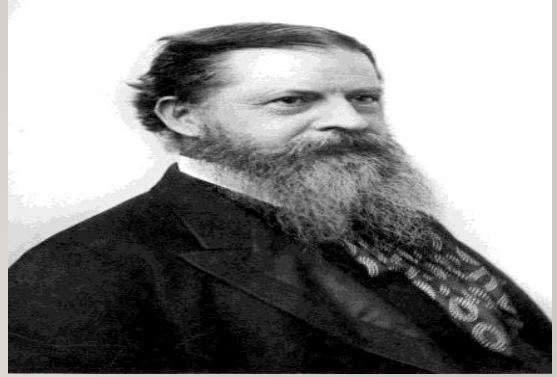

يقول بيرس"إنني وحسب علمي الرّائد أول من ارتاد هذا الموضوع المتمثل في تفسير وكشف ما سميتُه السميوطيقا sémiotique. إن السيميوطيقا التي يُطلق عليها في موضع آخر المنطق تعرض نفسها كنظرية للدلائل، وهذا ما يربطها بمفهوم (السيميوزيس sémiosis) ... إن المنطق بمعناه العام هو مذهب علامات شبه ضروري وصوري". وقد أراد أن يؤسس علما للعلامات يستوعب كل العلوم المادية والإنسانية.

تعريف رولان بارت

انفتح (رولان بارت) بمفهوم العلامة التي تلقاها من دوسوسير على أكثر من فضاء لغوي وغير لغوي، واصفا الحياة بكونها مَجرّات وسدائم من العلامات التي لا تكفُّ عن الاتساع والامتداد اللانهائي . وهو أول من دشّن علم العلامات في الدرس البنيوي باصطلاح (السيميولوجيا) الذي بشّر به دوسوسير، وذلك في كتابي رولان بارت (عناصر السيميولوجيا) و (نسق الموضة) وإذا كان سوسير يعتقد أن اللسانيات ستكون مطالبة بالانضواء تحت عِلم عام للعلامات(السيميولوجيا). فإن بارت قلب هذه الفرضية لأن الدلالة لا يمكن أن نمثلها إلا باللغة، فلا نسق للموضة مثلا إلا إذا كان متجسدا في لغة مكتوبة – في نظره- فاللغة عنده تستوعب السيميولوجيا عكس ما ذهب إليه أستاذه دوسوسير

الفرق بين تصور (سوسير) الأوروبي للعلامة وتصور (بيرس) الأمريكي لها أن هذا الأخير يرى أن الإشارة تحيل إلى موضوع خارجي (مرجع خارجي) في حين أن الأول تحيل الإشارة لديه إلى متصور ذهني عن الموضوع الخارجي . لكن المتأخرين بعدهم (بارت و لاكان وغيرهم) رفضوا فكرة ارتباط ثابت للدال بمدلوله فالإشارات تعوم سابحة لتغري المدلولات إليها لتنبثق معها وتصبح جميعا دوالا أخرى ثانوية متضاعفة لتجلب إليها مدلولات مركبة وهذا حرر الكلمة وأطلق عتاقها لتكون إشارة حرة لا حد لدلالاتها المتعالقة، فيما يسميه السيميائيون بـ (السيميوزيس).

من المعنى إلى معنى المعنى

دوسوسير

رولان بارت

تمثل بيرس للعلامة

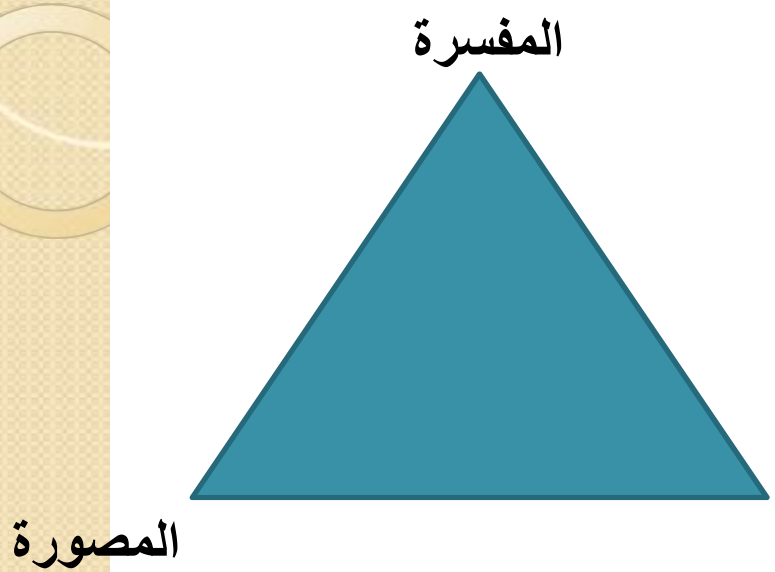

تمثل دو سوسير للعلامة

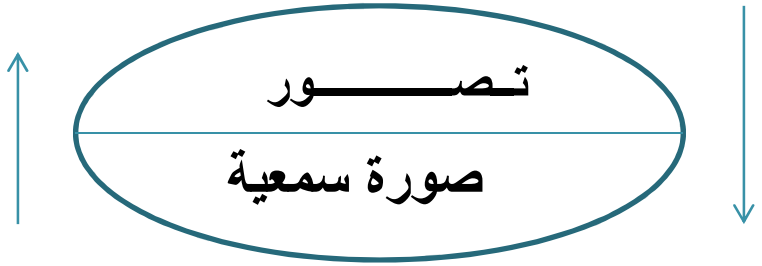

الدلالة السيميولوجية

تنقسم الدلالة السيميولوجية إلى 3 أقسام :

1- القرينة **index**: والعلاقة بين الدال والمدلول فيها سببية مكانية متجاورة، فالدخان علامة على النار. والجرس دال على أن أحدا على الباب مثلا... ويترجمها صلاح فضل عن بيرس بالإشارة.

2- الأيقونة **icone**: والعلاقة فيها بينهما تقوم على التشابه، فالرسم هو شبه المرسوم، والتمثال هو شبه المنحوت . مثاله هذه أيقونة الصليب للديانة المسيحية .

3- العلامة **signe**: والعلاقة بينهما اعتباطية اصطلاحية كما عرفها دوسوسير . ويسميها بيرس الرمز **symbole**.

بدايات المنهج

- بدأ الدراسون يولون أهمية للسيميائيات عندما اكتشفوا أن دراسة البُنى السّطحية وحدها غير كافية لاستكناه دلالات النص. وأن السياقات والمواقف والمناسبات قد تضللنا عن معناه. فانطلق التحليل السيميائي من حيث توقف التحليل البنيوي عند دلالة النصوص. فانبعثت في فرنسا جماعة (TEL QUEL) (كما هو)عام 1960م ثم مُهِّد الطريق إلى (الجمعية الأدبية للسيمياء) سنة 1969م التي استقطبت أعلاما كـ(جوليا كريستيفا) من فرنسا، و(أمبرتو إيكو) من إيطاليا، و(يوري لوتمان) من روسيا ...

السيميولوجيا والنص الأدبي

لما كان التحليل السيميائي ينطلق من آخر مرحلة وصل إليها التحليل اللسانياتي على المستوى الأفقي، ليدخل في مرحلة تفسير المعطيات وتأويل العلاقات الترابطية بين الدلالات، فمن الطبيعي أن يقدم تفسيرات وتأويلات تختلف باختلاف النقاد، وبذلك يمكن أن يعدّ كل قارئ منتجاً لنص جديد، وهذا ما عناه رولان بارت بقوله (إن القارئ أو الناقد ليس مستهلكاً للنصّ فحسب، بل هو منتج له أيضاً. معتمدا على خلفيته الثقافية والمعرفية للوصول إلى بنى النص العميقة .عبر قراءتين :

1-مرحلة التحليل الأفقي/ وفيها يتم التفكيك البنيوي للوقوف على المعاني السطحية الظاهرة أو الحرفية المستخلصة من بنية النصّ؛ فينقل التطبيق الإجرائي لهذه المرحلة عبر عدد من المستويات. مع تقسيم النص إلى عدّة وحدات قرائية.

2-مرحلة التحليل العمودي/ وفيها يتم الوقوف على المعاني المصاحبة والدلالات العميقة أو الخفية المسكوت عنها، وهي دلالات تأويلية تختلف باختلاف القراء؛ إذ كلّ ناقد يقرأ بحسب مرجعيته وخلفيته الثقافية ومكوّناته الفنية والتناصيّة والتقارئية. وهنا يشرع الناقد في تأويل معطيات القراءة الأولى للنص، في قراءة ثانية محاولاً إيجاد تفسيرات للرموز والسمات والإشارة لمعرفة صلتها بالنواحي الاجتماعية والدينية والسياسية والثقافية السائدة في بنية النصّ.

البنية العاملية

السند : قصة موسى

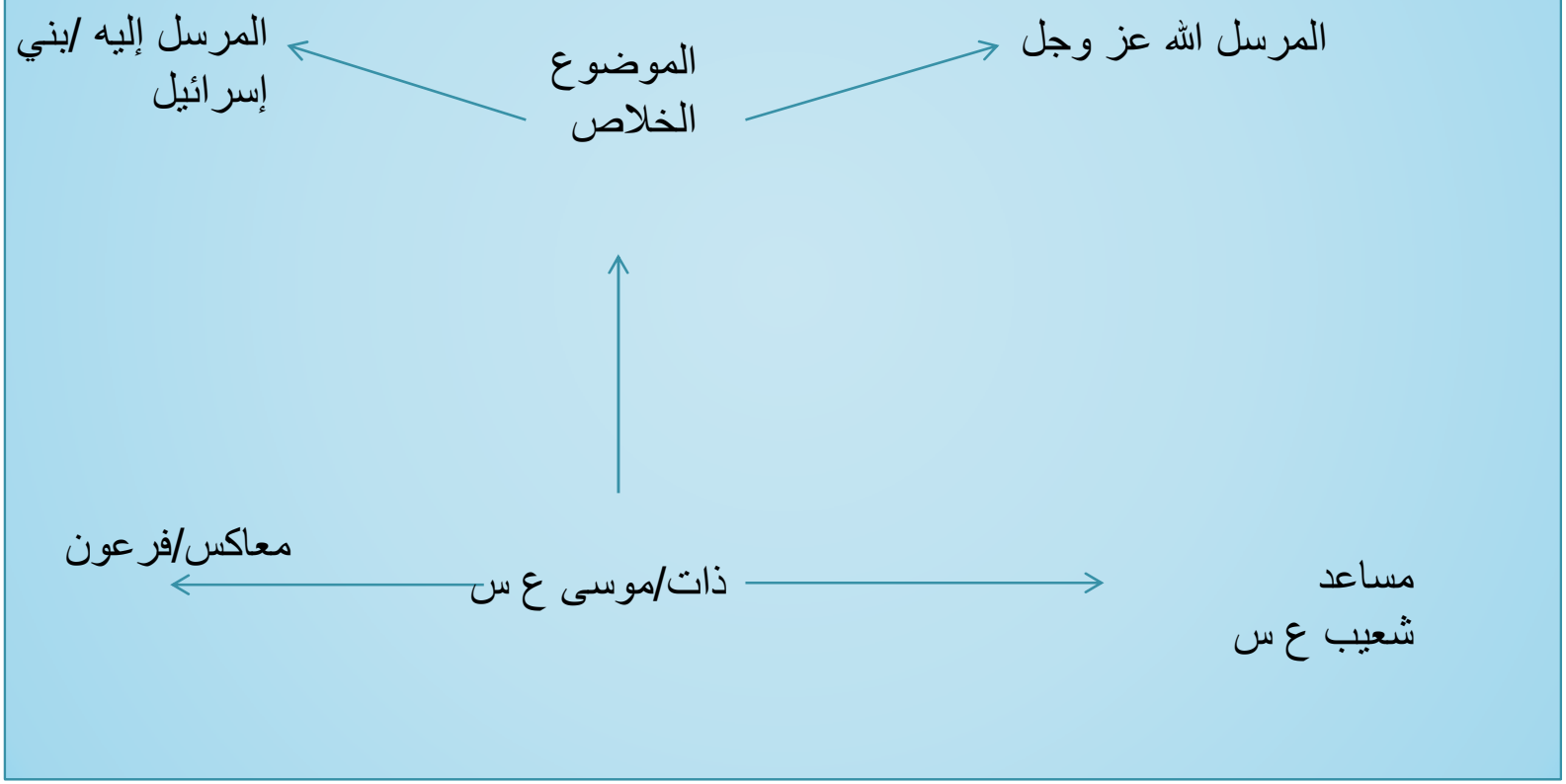

المربع السيميائي

السند : إني خيرتك فاختاري /ما بين الموت على صدري
أو فوق دفاتر أشعاري/ اختاري الحب أو اللاحب فجبن ألا تختاري/لا توجد منطقة وسطى/ ما بين الجنة والنار ...

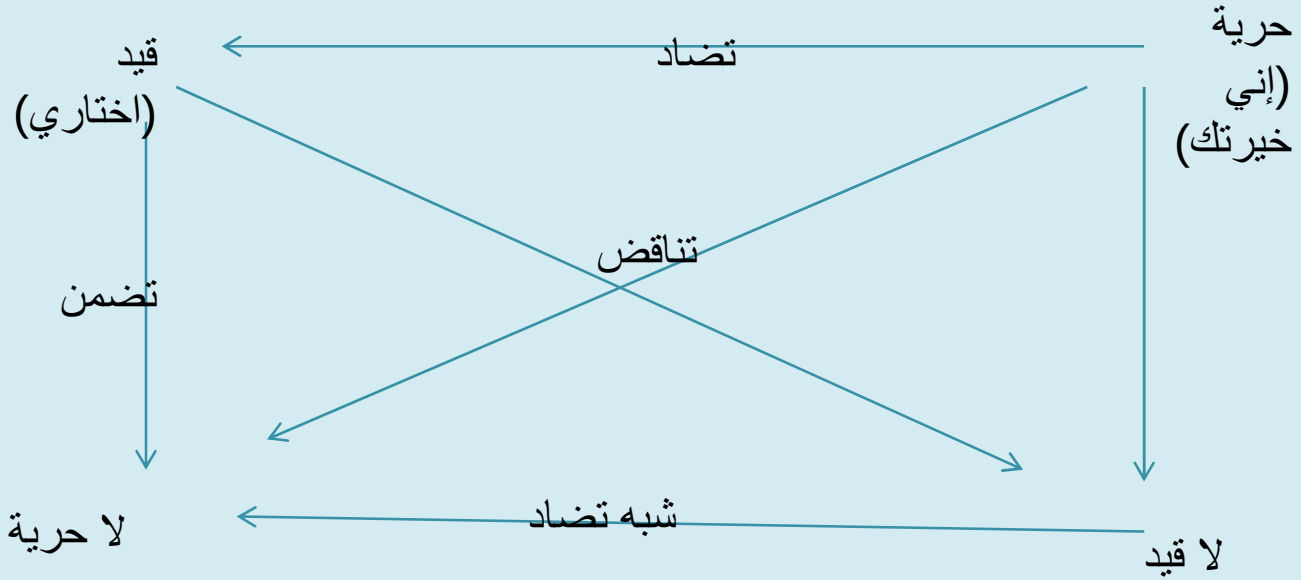

مدراس السيميولوجيا

سيميولوجيا الدلالة

- سيميولوجيا سوسورية رائدها رولان بارت يعنى بنظم إنتاج الدلالة في مختلف الأوضاع الاجتماعية داخل اللغة وخارجها ... أي كل نسق دال يمتثل حتما لثنائيات سوسير. وما تهمه هو دلالة هذا النسق فحسب .

سيميولوجيا التواصل

- ومن روادها رومان جاكوبسن وجورج مونان واهتموا بآليات الإبلاغ والتوصيل العلاماتي وتأثيره في الغير .ومن هنا فالعلامة تتكون من ثلاثة عناصر: الدال والمدلول والوظيفة القصدية

سيميولوجيا الثقافة

- ومن رواده كلود ليفي ستروس ومالينوفسكي ورولان بارت أيضا وهي لا تنفصل عن سيميولوجيا الدلالة لكنها اتسعت بها إلى فهم أن العلامة لا تكون دالة إلا داخل أنظمة ثقافية واجتماعية ... وهو اتجاه توفيقي بين الاتجاهين السابقين .

بعض مراجع العرض

- Saussure, *Cours de linguistique générale*, Payot, 1980, p. 33
- Roland Barthes, Le degré zéro de l'écriture, De Encyclopaedia Universalis, France 2016.
- أبو حامد الغزالي، معيار العلم، تح سليمان دنيا ، دار المعارف مصر 1961.
- عبد الله الغذامي ، الخطيئة والتكفير، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4، 1998.
- رابح بومعزة، الاتجاهات السيميائية المعاصرة ، الملتقى الوطني الرابع السيمياء والنص الأدبي جامعة بسكرة ، نوفمبر 2006.
- حلام الجيلاني ، المنهج السيميائي وتحليل البنية العميقة للنص، مجلة الموقف الأدبي، العدد 365 أيلول 2001